(٨٧)

"الغزالة والأشبال"

فى كل مرة كان يلتهم فيها الأسد الضخم الغزالة الصغيرة، كانت الدموع تغمر عينيها حزنًا على الغزالة الضعيفة التى ليس لها ذنب فى أن يفترسها الأسد على غِرة بهذه الشراسة المعدومة الرحمة. فى كل مرة كانت لا تفكر سوى فى الحيوان المأكول، ولم تفكر أبدًا فى الحيوان الآكل. فى كل مرة كانت تمقت فكرة الافتراس ومن قام بها، ولم تكن تركز سوى على واقعة التربص اللازم قبل الانقضاض السابق لعملية الافتراس البشعة، والتى تكون ضحيتها دائمًا محل عطفها وشفقتها.

وذات مرة لفت انتباهها أن الحيوان المفترس الذى انقض على الغزالة الصغيرة كان أمًا، وأنها عندما عادت بفريستها إلى أشبالها الصغار وجدتهم جميعًا قد هلكوا من الجوع، فلم يتناول الطعام الذى أحضرته لهم أحدٌ منهم. ولم يكن منها جراء ذلك سوى الجلوس بجانبهم بلا طعام حزنًا عليهم، وندمًا على عدم تمكنها من إنقاذ حياتهم رغم نجاحها أخيرًا فى الحصول على فريسة شهية ليتناولوها جميعًا.

وبعد هذا المشهد الأمومى الحنون، لم يعد الافتراس يعنى لها الوحشية والدموية وفقط، بل أصبح يمثل لها مفهومًا جديدًا خلاصته أنه هو الوسيلة المعروفة لتلك الحيوانات المفترِسة كى يتمكنوا من البقاء على قيد الحياة، وأن

تخليهم عنه يساوى فى المقابل اختفاءهم من الوجود وانتهاء حياتهم. ولولا وجود آكل لكل مأكول، ومأكول يتناوله كل آكل، لما استمر وجود الآكلين، ولما اجتهد كل مأكول فى الحفاظ على حياته.

إنها الطبيعة الفطرية على هذا الكوكب، والتى تحمل فى إحدى يديها أحد النقيضين، وفى اليد الأخرى النقيض الآخر، والذى ما أن يشعر كل موجود على سطحه بأنه حي، حتى يجد الموت منتظرًا له وكأنه يرقبه من بعيد مقتربًا منه مع مضى كل لحظة فى حياته، إلى أن يقابله وجهًا لوجه، فيصافحه رغمًا عنه لتنتهى بذلك رحلة حياته على هذا الكوكب الأرضي.

وطالما أن الموت حتمًا سيقابل الجميع مصافحًا لهم، فما الفارق إذن بين كون الميت قد مات مأكولاً، أو مات من شدة الجوع، ولماذا إذن تكون الشفقة والرحمة على المأكول، ويكون الحنق والسخط على الآكل؟!